الصهيونية جريمة العصر الكبرى

تأليف عبد اللطيف شراره

منشورات دار المكشوف ـ ٢٨٠ ص

★★★

كتب كثيرة صدرت ، وبحوث مختلفة نشرت عن قضية فلسطين وعن الصهيونية منذ سبعة عشر عاما حتى اليوم ، عمر النكبة ، وتناولت الموضوع من زوايا مختلفة، ولكن كتاب « الصهيونية جريمة العصر الكبرى » للاستاذ عبد اللطيف شرارة يعد في طليعة الكتب التي تعمقت في بحث العوامل النفسية والحضارية والخلقية لدى كل من العرب واليهود ، فساق المؤلف اراءه واستنتاجاته وحلوله لجريمة العصر على نحو موضوعي بعيد عن طغيان العاطفة والحماسة في مثل هذا الشأن الحيوي الخطير ، فجاءت بحوثه مركزة على المنطق والبحث العلمي الصرف ، ومعززة باسانيد ومراجع مختلفة لاساطين الفكر الغربي ، يعين الكاتب على ذلك معرفة باللغتين الفرنسية والانكليزية ، وثقافة واسعة عربية وغربية ، ثم مقدرة على التعليل والاستنتاج من خلال الدراسة الموضوعية المستفيضة .

والمؤلف لا ينظر الى جريمة العصر (اسرائيل) من زاوية عربية فحسب ، بل من زاوية انسانية ايضا، فلا يترك بذلك مجالا حتى للقارىء الغربي لان « يتسامى » بدراسة قضية « اسرائيل » نشاة وتكوينا ومصيرا ...

لقد درس الكاتب هذه الظاهرة الجديدة الخطيرة ، ظاهرة انشاء الدول على غرار « اسرائيل » واثرها في منطق العدالة والواقع والتاريخ، ثم اثرها في الردة التي حدثت في الشرق العربي ، وما زالت تقوى وتشتد بالرغم من مرور سبعة عشر عاما على هذه « الظاهرة » بفضل قوى الغرب المختلفة . فجاء يعدد ، في توطئة الكتاب ، ثغرات الصهيونية العميقة فكرة وحركة قائلا (ص ١٠) :

« كثيرة هي الثغرات التي تجعل الفكرة الصهيونية خاطئة ،وتصبغها بلون الاجرام حتى كفكرة ، أي كنية تنطوي على اساءة متعمدة لابرياء لم يسبق لهم قط ان اساؤوا ولو من بعيد ، لهؤلاء الذين راحوا يفكرون في اخراجهم من ديارهم، وتسخير العلم والمال والسياسات الدولية من بعد لاغتصاب وطنهم ، وتشويه حقيقتهم ، والاعتداء على مقدساتهم، وتهديم مستقبلهم .

وثغرات الصهيونية ـ فكرة وحركة معا ـ تراوح بين ظاهر وباطن . وابرز ثغرة ظاهرة فيها انها ضربت صفحا عن ان فلسطين آهلة بسكانها العرب ، واغفلت عمدا الخوض في حديث هؤلاء السكان ، بل ان فلاسفة الصهيونية اشاروا بوضوح الى ان حقوق العرب في فلسطين ينبغي ان لا تذكر ، وان لا يعترف بها اليهود المشتتون في انحاء الارض ، لان مجرد الاعتراف بتلك الحقوق يضعف حماسة اليهود، ويتخلخل معه ايمانهم بصواب الدعوة الصهيونية . »

وعندما يتناول « المشكلة اليهودية » بالدرس والتحليل ، يقرر ان هذه المشكلة هي يهودية قبل كل شيء ، و « انها عقدة تتعلق باليهود، ولا دخل للاخرين فيها من قريب ولا من بعيد » ، ولذلك فليس من يملك حلها الا اليهود انفسهم .

واليهودي كما يقول الاستاذ شرارة « وقد اعتبر نفسه منتميا الى الشعب المختار ، حكم بمجرد هذا الاعتبار على انه كائن اخر « منفصل » عن الناس ، منقطع عن همومهم ومسراتهم ، غريب عن الامهم وامالهم، بعيد عن احزانهم وافراحهم ، فهو لا يشاركهم في شيء من المعاني والقيم الصميمة التي يتطلعون اليها من حرية وكرامة وعدالة ونزاهة » (ص١٩).

ثم يرى الكاتب بحق ان اليهود عاشوا منبوذين واسرى وارقاء منذ بختنصر حتى القرن الثامن عشر بعد المسيح بسبب من عبوديتهم لعقيدتهم بالتفوق ، الامر الذي اثار تحدي الفاتحين وبناة الامبراطوريات لهم ، فلم يعرفوا الهدوء في حياتهم كلها الا حين اتاح لهم الاسلام جوا من الحماية والتسامح اعتبروه ضعفا، ونفذوا منه الى مناصب عالية كانت بداية عهد الانحطاط في الشرق العربي .

ويضرب الامثال على التسامح الذي لقيه اليهود من العرب والاسلام في شتى الممالك والامصار ، ليخلص الى ان « تحرير اليهود ، في اطار الحضارة العربية ، كان سبيلا الى تهديم تلك الحضارة » ، وان الرواية نفسها تتكرر مع اوروبا حين اخذ اليهود ينفذون الى مكامن القوة في حياة اوروبا العامة .

ويعزو الكاتب جوهر هذه المشكلة الى الانفصالية الاجتماعية التي يعتنقها اليهود في تكونهم الفردي على مدى الايام وطرائق فهمهم الخاصة لعلاقات الانسان بربه ونفسه وغيره (ص ٢٩) فاليهود غير قابلين للتآلف مع كل شعب وفي كل بلد، ، حتى في فلسطين العربية التي جمعوا فيها قواهم كلها في الغدر والمال والنفوذ والتعصب والخبث والفساد ، لم يستطيعوا ان يأتلفوا لان منهم من يشك في عقيدة « شعب الله المختار » مع غيره من الشعوب .ولذلك نرى التطاحن الاجتماعي والعنصري والاقتتال المريع بين « فئات » اليهود القادمة الى فلسطين المحتلة منذ كارثة ١٩٤٨، من مختلف اصقاع الارض .

وقد طرح اليهود مشكلتهم على الغرب على انها مشكلة الالمان او الروس او العرب ... ووضعوا لها حلا : الصهيونية التي هي « جريمة الحضارة الغربية برمتها » . وطرحوها في بعض المجتمعات على انها دينية ... وعلى انها قضية اجنبي ووطني في البلاد التي يحلون فيها : وعلى انها اقلية واكثرية ، وكراهية الاكثرية (غير اليهودية) للاقلية اليهودية ، كما صوروها للرأي العام الغربي منذ ربع قرن . فهم يلبسون لكل حالة لبوسها ، ويطرحون مشكلتهم في كل بلد ومجتمع تبعا لمنافعهم، ولظرف كل مجتمع وبلد .

وعند الحديث عن اللاسامية يثبت الكاتب اوجه الخديعة في هذه المعزوفة التي طلع بها اليهود على الغرب ، ويعنون بها اضطاد العرق السامي ، في حين ان اليهود ليسوا عرقا ولا سلالة ، وهم الذين « لا

يملكون مطلقا أن يتنصلوامن تبعة افكارهم » في سم اوروبا ، وجعلها ميدان صراع عرقي على الاخص . لانهم ما انفكوا يتنكرون للعرقية على اساس عرقي ، وهم الذين كانوا السبب ، قبل هتلر ، في الحديث عن العرق اليهودي ... »

وقد لوح اليهود في اوروبا باللاسامية في وجه العرب الساميين.. ضاربين على اوتار الدين ، فانطلت الحيلة على الرأي العام الاوروبي . فافكار الصهيونية هي افكار النازية عينا وتماما .

وفي الفصل الرابع « قوة عمياء » يقول المؤلف :

« والعجيب ان احدا من مفكري اوروبا واميركا الكبار ـ دعك من الساسة فيهما ـ لم يحاول قط انينظرالى الصهيونية من الداخل ، داخلها ، ويتعرف الى مدى ما هي عليه من عمى وظلام وازراء بابسط الوقائع ، وتنكر لاسطع الحقائق . والذين ادركوا بعض امرها منهم ـ توينبي ، تشايلدرز مثلا ـ انما ادركوه بعد ان نفذ السهم ، وقامت دولة اليهود ، وراحت ترتكب جرائمهاالواحدة تلو الاخرى ... »

ثم يبين كيفية انطلاق الصهيونية من الظلام ، مستفيدة منه،مستغلة كل ما في الحياة البشرية حولها من قوى عمياء لبلوغ اغراضها.

وفي توطئة القسم الثاني من الكتاب يقرر المؤلف ان الصهيونية هي « وليدة ازمة في الحضارة الاوروبية الاميركية نفسها ، لم يكن في مستطاع تلك الحضارة ان تتلافى نشوءهما (الازمة والصهيونية) معا في حياتها ، فنقلتهما الى الشرق ...»

ثم يرجع اسباب نكبة فلسطين ، في اول منزلة ، الى ان العرب لم يكونوا يملكون زمام امورهم،فلم يكونوا احرارا مستقلين في بلادهم . ويفند اقوال المدعين ان العرب كانوا سلبيين مع الغرب ، قائلا ان الغرب فاجأ العرب بمشكلة لا يد لهم فيها ، وراح يطلب اليهم حلها منكرا القيم والفضائل والمثل العليا ، رافضا اعتبار الاخلاق شيئا ازاء القوة ، غير ملاق للكرامة وزنا بجانب السيطرة والتحكم ، آخذا بمقاييس في السياسة والاخلاق يهودية ، ترى في الحرية حريتها هي ، وفي العدالة عدالتها هي ، وفي السعادة سعادتها هي ، وان شقي اهل الارض اجمعون (ص ١٢٩) . والحقيقة ليس لها وزن صحيح قائم بذاته في تفكير الاميركي ، والحرية التي يفهمها هو وزميلاه البريطاني والفرنسي ، كما قلنا ، حريتهم هم . لذلك وهت قضية الحرية على يد الديموقراطيات الغربية الحديثة ، وقويت على ايدي الذين جاهدوا في الداخل ،وناضلوا في الخارج ، وفي مقدمتهم الهنود والروس والعرب المحدثون .

وفي الفصل الثاني « العقل العلمي والعقل السياسي » يقارن المؤلف فيجيد المقارنة اذ يقول :

« يقف العقل العلمي على طرف النقيض من « البطولة » . ومعنى هذا انه يخضع في كثيرمن فتوحاته وانتصاراته لما تعود الناس ان يسموه « المصادفة » . اما البطولة ـ وهي معنى انساني صرف ـ فانها تستقي وجودها ، كبطولة ،من تحدي المصادفات والتغلب على الظروف ... »

ويضرب على ذلك الامثال مدللا على اخذ الناس ، في هذا العصر ، بالعقل العلمي الذي « خلق جوا اجتماعيا جديدا الى حد بعيد ، هو الاقبال على الرفاهية ... ففترت الهمم الا في طلب العلم ، وهي انما تطلب الرفاه ، لا المعرفة ...»

ثم يقول بان هناك حقيقة تتضح في نشوء العقل السياسي الى جانب العقل العلمي ، يفيد من عجز العلم وقصوره ، ويستثمر منجزاته، الى ان وقع العقل العلمي فريسة العقل السياسي ، مع ان الحقيقة التي انتهى اليها المعاصرون ، هي ان السياسة فن وليست علما .

وكان خطأ اوروبا واميركا ان جعلت العقل العلمي دليلا على التفوق السياسي . فعندما اهتدى اينشتين الى نظرية علمية (ص ١٧١) نتيجة مصادفة عرضت لنيوتن ، حسب الساذجون ان اليهود ـ واينشتين منهم ـ متفوقون على غيرهم ... وهنا يكمن خطر العلم اذ يستولي عليه عقل سياسي مثل ما استولى عقل وايزمن على اينشتين ، وسخره لخدمة اليهودية الضاربة في اعراقها الى مجتمع قديم متوحش .

ويخلص الكاتب الى الاستنتاج ان الحس الاخلاقي مفقود لدى الصهيونية والصهيونيين ، مدعي العلم ومزوريه في اوروبا واميركا ، فقدانا تاما .

وفي « منطق العدالة والاصلاح الاجتماعي » يقول : ان تركيز الاصلاح لا يتم الا اذا قام على قواعد علمية ثابتة في دولة من الدول او وطن من الاوطان ، ثم بتوضيح الاسس الاخلاقية التي تبنى عليها الدولة...

ويرد على اولئك الذين يشكون في قيمة الاخلاق اليوم في حياة الدول زاعمين ان سلوك الانسان في المجتمع خاضع لاعتبارات طبيعية واقتصادية وثقافية ... فما من شعب او فرد انكر القيم الاخلاقية قولا وعملا ، واستطاع ان يفرض احترامه على نفسه وغيره ، ويحيا حياة كريمة سليمة من الافات والامراض المختلفة . واكبر دليل على ذلك يقدمه التاريخ من اقدم العصور الى اليوم : اليهود الذين تعرضوا للمقت والاضطهاد والانحلال بسبب من مسالكهم غير الخلقية . فلا بد ، في مقاومة تغلغلهم، من الاخذ بمعطيات منطق العدالة،وتنفيذ مناهج الاصلاح الاجتماعي .

وفي الفصل الرابع يدعو المؤلف الى تعاون الدول العربية فيما بينها لكي لا تغيب عن الحضارة الراهنة ، ولكي تثبت وجودها ، وتسهم في خدمة القضايا الانسانية .وحضور العرب في المدنية الراهنة يعني حضورهم باجسامهم وارواحهم وعقولهم وطاقاتهم الحماسية كلها .

ومواقف اليهود من العرب قديما وحديثا ، هي مواقف المخربين الذين اجهدوا انفسهم في جر العرب الى أخلاقهم ومبادئهم واساليبهم، واليهود يحاولون اليوم اعادة هذا التخريب ، يعينهم الاجانب على ذلك.

والدعاية القوية التي ينشرها اليهود في اوروبا واميركا لعلمائهم دعاية مقصودة منظمة لذر الرماد في عيون الناس ، ولتحقيق المخططات الصهيونية ، فكان لزاما على الدول العربية بذل اقصى الرعاية لنابغيها من العلماء والمفكرين ، وكان من واجبها ان تتحرر من اختلافاتها ، ولا سيما تلك الاختلافات التي تقوم وراءها المصالح الاجنبية . « فالتعاون بين الدول العربية ضرورة قصوى ، لا تدانيها في شدتها ضرورة ، لا لتحقيق

بعد دراسات وابحاث استغرقت عدة سنوات ، تمكن علماء الكيمياء من اكتشاف :

DUO SUISSE

الدواء العجيب الذي يزيل قشرة الرأس والحكاك وبعض تساقط الشعر

مختبرات ديو سويس ـ سويسرا

الوكلاء المعتمدون والموزعون

منيمنة ـ شارع البرلمان ، بيروت

الوحدة او ايجاد صيغة دستورية او البحث في الاتحاد ، بل لصيانة الوجود العربي . »

وفي « تنظيم الاهداف والاتجاهات » ، وهو البحث الاخير من الكتاب ، يحلل الكاتب المعاني الكامنة وراء « اسرائيل » في تسلط الاجانب على البلاد العربية ، وتخلف العرب المدني ، واختلاف العرب فيما بينهم ، وفي الانحلال الاخلاقي العام ، وفي جهل الاجانب اجمالا بتاريخ فلسطين وقضيتها ، وفي العبوديات النفسية والاجتماعية ، وفي شراء الصحف وسائر وسائل الدعاية ، وفي تغلغل الصهيونية في بيئات لا علاقة لها بالعرب من قبل ، وفي فوضى المقاومة العربية .

ويشدد على هذا السبب الاخير لانه ابعد المعاني اثرا في ضعف المقاومة العربية التي استغلها اليهود واعوانهم على اوسع مدى. ونشأت لدى الناس ، ولا سيما الغربيين ، فكرة مغلوطة عن العرب منذ رأوا اليهود يحققون دولة في فلسطين لم تتحدثها حتى الان دولة عربية واحدة ، وظنوا أن ذلك من « تنظيم » اليهود انفسهم .

ثم يدعو الكاتب الى تنظيم الفكر العربي ، واعادة العقل الى اعتباره ووظيفته في وجودنا ، وتجريد مفهوم السياسة من الدجل والنفاق ، واقامتها على اسس صريحة واضحة لا فرق بين ظاهرها وباطنها .

اما فيما يتعلق بالفلسطينيين ، اصحاب الدار الذين نكبوا وحدهم ، وكانوا ضحية المؤامرات ... فيذكر الكتاب كيفية تنظيمهم في دولة ، ومهمة هذه الدولة في كل حقل وميدان .

وفي الخاتمة يضع المؤلف التبعة ، في جريمة الصهيونية ، على عاتق اليهودية ، والاقطاعية الدولية (الاستعمار) ، والاقطاعية العربية ، والجيل الجديد هنا وفي كل مكان اذا هو لم يحسن التصرف انطلاقا من اليوم نحو الغد .

***

هذا عرض سريع للكتاب الذي يقع في ٢٨٠ صفحة ، اصدرته « دار المكشوف » ببيروت في ايلول ١٩٦٤ ، نطل منه على نافذة مشرقة من الدراسات المتعلقة بجريمة العصر ، او جريمة الغرب ، كما ينبغي ان تسمى صدقا . ويستطيع القارىء والباحث معا الاحاطة باخطر ظاهرة او كارثة قومية وانسانية سياسية وحضارية وخلقية يعانيها العرب ومفكرو العالم الاحرار منذ سبعة عشر عاما ، مع الحلول المقترحة لازالتها.

وحبذا لو وضع المؤلف فهارس ضافية للاعلام والبلدان مما لا غنى عنه في مثل هذه المراجع القيمة التي اعتمدها في كتابه .

شفيق الارناؤوط

الكونكرس الاميركي ونكبة فلسطين

تأليف : الدكتور فاضل زكي محمد

٥٨ ص ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد ١٩٦٤

***

كلما نالت الصهيونية العالمية مكسبا جديدا من الدول الرأسمالية عاد الكثيرون من العرب الى انفسهم ليتساءلوا عن سر هذا العطف الذي توليه اياها تلك الدول واسباب تفانيها في خدمتها وتحقيق رغباتها مهما كانت ، واذا ما ذهبت الحيرة والشكوك بهم بعض الوقت فسرعان ما تستقر اذهانهم على اجابة سهلة عتيقة يعود تاريخها الى ايام وعد بلفور ترى ان الصهيونية انما تمكنت من نوال مركزها السياسي والاجتماعي الخطير في الاوساط الرأسمالية الغربية بما نشرت من اكاذيب عن اضطهادها العنصري وما لها من نفوذ في دور النشر والاذاعة وبيوتات المال وتأثير في مجرى انتخابات بعض الدول الكبرى وان العمل العربي في هذا المجال يجب ان يتجه نحو تخليص دهاقنة الاقتصاد والمال والسياسة وسادة الترستات وامراء الجيوش جميعا في اوروبا واميركا من تخدير الدعاية الصهيونية « وايقاظ ضمائرهم » ! .

لا شك ان اجيالا متعددة من ساسة العرب وكتابهم قد عملوا على نشر تلك الفكرة الساذجة عن نفوذ الصهيونية وكيفية سيطرتها على المؤسسات السياسية وغير السياسية في الدول الغربية وكان اغتيال كندي اخر مناسبة هامة لبثها من فوق منابر الراي في بلادنا وعادت الصهيونية لتظهر لنا كاخطبوط ذي الف ذراع وذراع باستطاعتها ان تسقط الممالك والحكومات بغمضة عين (١) .

ويرجع رواج تلك الفكرة بنظرنا الى انها تولد في النفس طمأنينة كاذبة فالعربي اذ يسترجع ذكرى فاجعة فلسطين ويعاني من العذاب النفسي الذي تسببه تلك الذكرى ويجد نفسه في نفس الوقت وفي الواقع عاجزا عن العمل على ازالة اسباب الكارثة يلجأ الى بعض قابليات النفس في تضخيم الاشياء ليثير شعورا بالعجز لا حدود له تجاه العدو مما يبرر له عدم مبادرته الفورية الى ايقافه عند حده والقضاء عليه قضاء مبرما .

ان معالم الخدر والتمويه والاغفال واضحة في تلك الفكرة ولا تعود الفائدة من رواجها الى الصهيونية فحسب بل والى قوى اخرى من مصلحتها صرف انظار العرب عن الخطر الحقيقي الذي يتحدى مصيرهم القومي وكيانهم الحضاري . الا ان مما يؤسف له ان يظل لتلك الفكرة نفوذها القوي في اوساط الحاكمين والدارسين ببلادنا حتى الان، وقد بلغنا ذرى الوعي النضالي واجتاز فكرنا الثوري رواسب الفكر المخضرم (العثماني ـ الاحتلالي) وها هو الدكتور فاضل زكي محمد الاستاذ بجامعة بغداد يعي مجددا قضية مناصرة الولايات المتحدة لاسرائيل من خلال « فقدان الضمير بالنسبة لشخصيات امريكية » (ص ٤ و ٣٧)

---

(١) لقد جاءت النتائج التي توصلت اليها لجنة وارن اخيرا متفقة مع طبيعة الاشياء ودحضا لكافة الافتراضات المضادة بشأن دوافع مقتل كندي فالقتيل لم يأت بشيء ذي بال ضد مصالح الاحتكاريين الاميركان لكي « يتآمروا » ضده ويغتالوه بهذه الصورة الدرامية وقد كان بامكانهم تنحيته عن منصبه بمجرد تحريك اصبع واحد من اصابع ايديهم فيما لو ثبت ان وجوده عقبة فعلا امام مصالحهم اللامشروعة كما وانه ظل مخلصا لاسرائيل حتى اخر لحظات عمره وكان اقصى امانيه تحقيق الصلح بين العرب واليهود ويمكن التأكد من ذلك بالرجوع الى مجموعة خطبه في مجلس الشيوخ والمنشورة تحت عنوان « ستراتيجية السلام » ـ في غير طبيعتها العربية طبعا ـ والى رسائله المتعددة الى الحكام العرب بعد توليه رئاسة الجمهورية .. تلك الامانى التي اعرب عن خيبتها اخيرا في مقابلة صحفية له مع جريدة « ها آرتس » اليهودية نشرت في شباط ١٩٦٤ للذاكرة فرضية اغتياله من قبل الصهاينة واهية هي الاخرى بل انها تتدنى الى مستوى السخافة حين يربط البعض بين اغتياله وموقف مندوب حكومته في اللجنة السياسية لهيئة الامم بتاريخ ٩ ـ ١١ ـ ٩٦٣ ذلك الموقف الذي ضاعت حقيقته في غمار الدعايات الطنانة التي رافقت حادثة الاغتيال ـ حيث انقلب بطل العدوان على كوبا في نيسان ٩٦١ ومن افتعل ازمة بحر الكاريبي في تشرين ثاني ٩٦٢ فجأة الى نبي جديد للسلام ونصير الصهيونية القديم الى صديق حميم للعرب بيد دوائر الاستعبارات والاستعلامات واصحاب الاقلام المشبوهة في بلادنا ـ ذلك لان المندوب المذكور لم يطالب باكثر مما طالب به كندي مرارا الا وهو اقرار مبدأ تعويض اللاجئين العرب واعاداتهم الى فلسطين على مراحل تستغرق عشرين عاما !! وباسالبب شيطانية تجعل من العودة في النهاية خرافة . واما فرضية وجود مؤامرة شيوعية لاغتيال كندي فهي لا ترتفع عن مستوى الدعابة ! ولا يبقى اذن سوى ان الدافع لم يك الا فرديا وذاتيا نابعا من حقد اوزوالد الشديد على مظاهر الطغيان والاستغلال في بلاده والذي زاده أوارا اقصاليه ببعض جوانب الحياة والثقافة الاشتراكية وكذلك حساسيته الفردية الشديدة وهو يرتفع بهذه الاوصاف بنظرنا الى مصاف شهداء النهلستية الروس في القرن الماضي .

« وسعيها وراء المكاسب الانتخابية » « وخضوعها لضغط الدعاية الصهيونية » (ص ٢٧ و ٣٧) ويكتشف الحل لها عن طريق عمل « حكومة الولايات المتحدة الدي مقراطية على تطبيق العدالة ! » (ص٥٤ـ٥٥).

فهل يصح مثل هذا التعليل للقاء النظام السياسي للولايات المتحدة والصهيونية العالمية ؟ لقد كان بامكاننا ان نحني رؤوسنا موافقين فيما لو صدقنا ان قادة الفكر والسياسة والاقتصاد في الولايات المتحدة من السذاجة والغباء بحيث يسلمون قياد امورهم الى حفنة من اليهود ويهملون مصالحهم الاحتكارية الجبارة بسبب « عواطفهم الرقيقة » وعطفهم على اليهود كفئة مضطهدة . وانى كان هؤلاء يملكون مثل تلك العواطف الانسانية وهم يحاولون اشعال نارالحرب في هذا الجزء او ذاك من العالم ويمارسون القتل والتدمير والعدوان على شعوب كمبوديا وفيتنام وكوريا والكونغو وغيرها ؟ واين هؤلاء من التعاطف مع المضطهدين عنصريا وهم ينشئون فاشية جديدة ، بكل معنى الفاشية في الولايات المتحدة ، سواء باعتبار انفسهم سادة جددا للعالم او اضطهادهم البشع للملونين (الزنوج وابناء الشرق) في قلب بلادهم ؟

واما ادعاء الكثير من حكامنا وكتابنا بان الرؤساء والساسة الاميركان انما ينحازون لليهود لاكتساب اصواتهم الانتخابية فجناية بحق المواطن العربي ، جناية فكرية وتضليل سياسي يجب ان نضع له حدا (٢) . ويكفي ان نرد على مثل ذلك الادعاء هنا : ما دام الحزبان المتنافسان في الولايات المتحدة حزبا واحدا في الحقيقة فهل يبقى ثمة مبررات للتنافس بينهما على الحصول على اصوات اليهود وقد قررا ان يمضيا في اسناد اسرائيل دوما ؟ واين ثقل ٣ ملايين يهودي فقط في بلد زاخر بالسكان كالولايات المتحدة (١٨٧ مليونا) ؟

فما هو سر التقاء الصهيونية بالرأسمالية ؟ لقد ظهرت اليهودية ـ والصهيونية وجهها السياسي (٣) قبل نشوء النظام الرأسمالي بمئات السنين مستندة على عقيدة غيبية تعلن جهارا امتياز المؤمنين بها على سائر الاجناس البشرية وانهم شعب الله المختار من بين كل الشعوب الاخرى ومن حقه لذلك ان يسود عليهاجميعا وان تكون تقاليد حكمها واقتصادها بيده وحده . وان عقيدةكهذه لا يمكن ان تعيش الا في ظل المجتمعات التي يسودها التمايز بشكل من الاشكال وتكون السيطرة والاستغلال فيها لفئة من الفئات وعلى حساب سواها ،ولا يمكن ان تتناصر او تتعايش الا مع كل عقيدة او مذهب او نظام للحكم يماثلها في التكوين ويستبيح الاستغلال وتعادي كل فكرة او اتجاه يدعو الى المساواة والاخاء وتكافؤ الفرص بين جميع ابناء المجتمع الواحد .

لقد خرج اليهود من مصر ايام الفراعنة بعد ان « سلبوا » المصريين انفس ما كانوا يملكون من ثروات (بتعبير سفر التكوين نفسه) ثم حلوا ببلاد كنعان اليانعة وامرتهم كتبهم المقدسة سفر التثنية) ان ينهبوها والا يبقوا على شيء منها لاهلها (٤) . وانتشروا بعدها في ارجاء العالم ليكونوا بوقا لكل طاغية ودعاة لكل نظام تمايزي جائر ليعتاشوا على الربا والغش والسلب المنظم وقريب منا نحن العرب حياتهم في الجزيرة العربية ولم يكن صدفة ان تنطلق اول دعوة الى (الوهية) واحد من الناس بين العرب بيد عبدالله بن سبأ اليهودي (ان صح وجوده تاريخيا ام لم يصح) وليكون اليهود اشد انصار الخلفاء الفاطميين بمصر يوم وضعوا هالات « الالوهية » فوق رؤوسهم لتكون حجة في ارهاب واضطهاد ابناء الشعب وخلفاء هولاكو في العراق . ولا ننسى ان الاثرياء اليهود كانوا اكبر ممولي الحروب الاوروبية ضد نابليون يوم كان يرفع شعارات الثورة الفرنسية (الحرية والاخاء والمساواة) ويدك قلاع الاباطرة الاقطاعيين الطغاة . واليوم نجدهم اعوانا اشداء (للشاهنشاهية) في ايران (والامامية المحتضرة) في اليمن (والدونما) في تركيا وكل حفنة تعيش على امتصاص قوى الشعوب الناهضة .

حتى اينعت الرأسمالية وهي التي تقوم اصلا على استغلال وامتياز طبقة معينة على الفئات الاخرى فوجدت الصهيونية الجو الامثل لتجدد نشاطها التاريخي وكانت الرأسمالية المستنقع الرحب الذي تكاثرت ونمت فيه علق الصهيونية ومن هنا كان الالتحام العضوي بين النظامين والذي يدحض اي تأويل اخر لاسباب الالتقاء بينهما .

ان الولايات المتحدة والدول الرأسمالية الاخرى ليست مخدوعة قط باكاذيب الصهيونية ولا مشفقة عليها ومن السذاجة ان نحلم باننا سنصحو ذات يوم فنجد تلك الدول قد ارتدت عن غيها وعادت الى طريق الصواب بعد ان استيقظت ضمائرها وان اسلوب عملنا يجب الا يكون قط اسلوب الرجاء والتبشير بعدالة قضيتنا بين الاوساط الرأسمالية لان هذه الاوساط ما آمنت بعدالة قضية شعب .. اي شعب يوما ما وانما يجب ان يكون عملنا قاصرا على بناء الاشتراكية فبالاشتراكية وحدها سنوجه الطعنات النجلاء الى جسد الرأسمالية ونحفر لها الثرى لندفنها يوما ما وحتى ذلك اليوم ستبقى الصهيونية . وليست اسرائيل سوى شركة امريكية ليس للصهيونية فيها سوى القسط الاقل، واذا كان السلاح الذي تخلصنا به من شركة قناة السويس (وكانت هي الاخرى تملك جيشا جرارا يحميها واذاعة خاصة ومدنا مستقلة كما هي اسرائيل تماما) هو التأميم فان شركة امريكا الاخرى في فلسطين ليس لها من سلاح مضاد غير التأميم! .

واما الموقف الثاني الذي نود ان نحاسب الدكتور المؤلف عليه فهو تثمينه « لموقف ايزنهاور العادل » المزعوم اثناء العدوان على مصر سنة ٥٦ (ص ٥٥) ولا نعلم كيف فات الدكتور الفاضل وهو المطلع الوقوف على دور الولايات المتحدة الحاسم المباشر في العدوان الثلاثي على مصر والذي يجب ان ندعوه في الحقيقة بالعدوان الرباعي ولنوضح مراحل هذا الدور الذي لم تستطع دعايات العطف الكاذب على مصر والاستنكار

التتمة على الصفحة ٦٠

---

(٢) لقد نبه كاتب تقليدي هو احسان عبد القدوس الى لا جدوى الحل في حالة الاقتناع بمثل ذاك الزعم اذ انه لا يخرج عن الاقتراح على الحكومة الاميركية « ان تسمح بتهجير ثمانية ملايين عربي الى اراضيها واعطائهم حق الانتخاب حتى تتساوى اصواتهم مع أصوات اليهود » !! (روزاليوسف ٢٤ ـ ٢ ـ ٩٦٤) الا ان كتابا نابهين آخرين انبروا لصد مثل هذه المزاعم وكان فيليب جلاب في « الجمهورية » القاهرية ابرعهم اذ كتب بان الولايات المتحدة ستظل تؤيد اسرائيل حتى ولو خلت من يهودي واحد وكتب محمد عوده « قامت اسرائيل بارادة الولايات المتحدة الامريكية وهذا يعني بدوره ارادة الرأسماليين الامريكيين وهؤلاء لم يقيموا اسرائيل تحقيقا لاماني الشعب اليهودي او عطفا على ضحايا النازية ولم يقيموها لان الصهيونيين سيطروا عليهم وخدعوهم ولكن اقيمت اسرائيل لتكون القاعدة والامتداد لمصالحهم ومشاريعهم » الجمهورية ٩ ـ ١ ـ ٩٦٤ . وكتب كامل زهيري عن مناورات اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي ضد العرب بان « تحليل الموقف على انه مجرد دسائس للصهيونية تحليل ساذج » صباح الخير ١٤ ـ ١١ ـ ٩٦٣ .

(٣) ان العروبة اذ ترفض كل الحلول الكهنوتية والغيبية لمشكلة الانسان لا ترى ضيرا في تسمية الاشياء باسمائها ونحن اذ نرى ان جذور بروتوكولات صهيون وقواعد الصهيونية العالمية مستمدة في الحقيقة من التوراة والكتب الدينية اليهودية الاخرى ونتساءل مع كارل ماركس ونجيب « ماذا كان اساس الدين اليهودي في ذاته ؟ المنفعة العملية ، الانانية وهما اساس المجتمع البرجوازي » « المسألة اليهودية » ص٥٩ ترجمة عيتاني ، فلا يعني رأينا ذاك ان انهاء مشكلة اليهود لن يكون الا باحد حلين اما افنائهم اينما وجدوا او تحويلهم الى اديان اخرى (انظر ديمقراطية علمانية عربية لجوزف مغيزل في كتاب الديمقراطية في العالم العربي) بل ان العرب يشرعون اليوم بنضالهم الاشتراكي في تحقيق حلم كارل ماركس وتوينبي وجان بول سارتر .. « التحرر الاجتماعي لليهودي بتحرير المجتمع من اليهودية » ! وينبثق بذلك الوجه الفني الجديد لقضية العروبة في فلسطين .

(٤) عن فصل الملكية عند قدامى الاسرائيليين للدكتور علي عبد الواحد وافي من كتاب قصة الملكية في العالم ص ٦٢ ـ ٦٣ .

النتاج الجديد

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤١ ـ

الظاهري للعدوان من تغطية حقيقته ، لنوضح من اولها .

لقد جمدت الولايات المتحدة ارصدة مصر لديها بعد تأميم القناة وانكر وزير خارجيتها دالس وفقهاء القانون الدولي الرسميون فيها الحق القانوني لمصر في تأميم قنانها وكان دالس صاحب اقتراح وضع القناة تحت اشراف هيئة دولية في مؤتمر لندن الاول واول من لوح باستعمال القوة ضد مصر في مؤتمر لندن الثاني وعندما وقع العدوان فعلا لم يكن الخلاف بين الشركاء الثلاثة من جهة والولايات المتحدة من جهة اخرى الا على اسلوب العمل (وتوقيته) كما قال محمد حسنين هيكل نفسه في كتابه العقد النفسية التي تحكم الشرق الاوسط .

واظن ان كل هذه معلومات قديمةومعروفة جيدا للدكتور المؤلف فهل من جديد ؟ لا اشك ان المؤلف لم يعلم بما جاء في مذكرات روبرت مرفي وكيل وزارةالخارجية الامريكية سابقا وكتاب الكاتب الفرنسي جان ريموند والمؤرخ الامريكي هرمان فاينر عن دالس وقضية السويس والكاتب الاسرائيل ميشيل بارزوهار التي صدرت هذا العام (عدا كتاب المؤلف الثاني الذي صدر سنة ٩٦٢) وكلها تفضح الدور المخزي للولاياتالمتحدة في عملية العدوان الذي لم يقتصر على مجرد محاولة ايزنهاور لتأجيلها الى ما بعد الاول من تشرين الثاني (يوم انتخابات الرئاسة) بالاضافة الى معرفته وقواده بخطط العدوان وموافقتهم عليها فقد صرح تامبلر رئيس اركان حرب القوات البريطانية للجنراليين غازان وكتلي قائلا : ليس هناك من معضلة فان الولايات المتحدة تقف الى جانبنا ! ولا على اسف المسؤولين الامريكان على فشل العدوان وعدم القضاء على ناصر ! بل ان القيادة الامريكية في حلف الاطلسي قامت بامداد التحشدات العسكرية الفرنسية في قبرص بقطع العتاد والمعدات الحربية وغيرها فعلا !! فهل نكون مبالغين ان قلنا انه كان عدوانا رباعيا لا ثلاثيا ؟ .

الاعظمية ـ العراق — مزاحم الطائي

دراسات ادبية

تأليف : يوسف الشاروني

***

الذين عرفوا الاستاذ يوسف الشاروني مهتما بشؤون القصة القصيرة مؤلفا وناقدا ، وكاتب مقالة ادبية تعيد الى الذاكرة رومانسية جبران وصوفية نعيمة ، سيعرفونه في هذا الكتاب الممتع الجديد ، باحثا ادبيا يؤدي بما تهيأ له من اسباب الثقافة الخصبة والمقارنة الواعية والنظرة الموضوعية العميقة ، شرائط البحث العلمي كما يجب ، وعلى افضل صورة نتمناها لباحث ادبي .

المقالة الاولى من الكتاب تجربة مثقف معاصر في « عالم القراءة السحري » ، حدد فيها مصادر الثقافة ، واسباب مشكلة القراءة ،ووضع بعض الاقتراحات القيمة للتغلب على العقبات التي تحول دون القراءة المثمرة مؤكدا على الصراع الخفي بين القارىء وبعض المسيطرين على ادوات الكتابة والنشر .

ونستطيع اذا استثنينا هذه المقالة التي تذكرنا ببعض مقالات المرحوم سلامة موسى ، ان نقسم دراسات الكتاب الست الباقية الى قسمين رئيسيين :

في القسم الاول آثر الاستاذ الشاروني ان يقف موقف المؤرخ الامين الذي يضع ثمرة قراءاته بين يدي القارىء في موضوعية يتجنب معها النقد والتقييم والتحليل ، فلا يكاد القارىء يعرف موقف المؤلف منها ورأيه فيها . وتحت هذا القسم تنضوي مقالتان ، هما : المأساة والملهاة بين ارسطو وبرغسن ، ونظرية تولستوي في الفن . وبدهي ان المؤلف ـ بسبب الموقف الذي اختاره ـ في حل مما قد يكتشفه القارىء من ثغرات في اراء ارسطو وبرغسن وتولستوي . وهي في نظريةتولستوي كثيرة تتشعب فيها الاراء ويطول الجدل ، نظرا لتعدد النظريات التي ظهرت حول تعريف الفن وشروطه ونأثيره وعلاقته بالدين والعلم .

اما القسم الثاني فيشمل ثلاث دراسات ادبية قيمة هي : كيف يتخلص البطل ، الغواية والهداية في الادب ، سيكولوجية التعبير الفني.

في الدراسة الاولى تتبع الاستاذ الشاروني عبر ثلاثة نماذج ادبية قديمة هي يوليس كما صوره هومير وسياحة الحاج كما قدمها جونبنيان وقصة علي الزيبق المصري ، الطرق التي يتخلص بها البطل مما يعترض سبيله من عقبات ومغريات ، فلاحظ ان البطل يتخلص اما بمساعدة القوى الخارقة للطبيعة (١) ، واما بالقوة الجسدية الهائلة واما بالتصرف البطولي الممكن في حدود القدرات الانسانية . وانه يستخدم للتخلص احدى الوسائل الثلاث : العقل ، الايمان ، الحب .. ولاحظ ان حسن التخلص وقوة الارادة وتصميم البطل والحيلة هي السبل التي يتخلص بها البطل من مآزق الاغراء التي تعطل رحلته . ثم عرج على قصة السندباد مقارنا بين تخلص بطلهامن الشيخ الاسود بفقء عينيه ، وبين تخلص يوليس بفقء عين السيكلوبس بالعصا الطويلة .

موضوع الدراسة جديد بكر يبشر بعطاء وافر بعد ان تخطتدراساتنا النقدية مرحلة الوقوف عند نقد اعمال روائية مستقلة ، او تتبع جانب خاص من اعمال اديب معين ، الى الكشف المنهجي الحديث عن الحقائق الانسانية والتاريخية التي تعطيها ظاهرة موضوعية كالجنس او الحب او البطولة .. في ادب مرحلة حضارية معينة او في نماذج من الادب العالمي ، كما هو واضحفي دراسة غالي شكري « ازمة الجنس في القصة العربية » . ولذا فقد كنت اتوقع ـ بادىء بدء ـ ان اقرأ تحليلا لشخصية البطل فيالادب من خلال رؤيا الاديب او الشعب صانع الاسطورة لقيم المرحلة الحضارية التي ظهر فيها، ومدى تمثيل البطل لتلك الرؤيا ، ونوع المغامرة التي من اجلها يرحل البطل ، اهي مغامرة من اجل الكشف عن ، أوالهروب من قضايا الوجود الازلية ، ام هي حلم يقظة يجد فيه اللاوعيالجماعي تنفيسا عن ضغط الظروف اللاانسانية التي يحيا فيها ، ام هي مزيج من هذه وتلك .

ولست اقترح منهجا معينا ، ولكني كنت انتظر شيئا اخر غير ما قدمته الدراسة من رصد خارجي للوسائل التي يتخلص بها البطل بالتقاط الجزئيات الخارجية لا لتحليلها على ضوء منهج حديث او ربطها بالعصر ، ولكن لاكتشاف اوجه الشبه والاختلاف الشكليين بينها ، دون النفاذ الى دراسة دلائل هذه الوسائل على قيم حضارية معينة بحيث اننا نلاحظ انها ـ كغيرها من ملامح البطولة القديمة ـ اختفت او تغيرت باختفاء المراحل الحضارية التي اوجبت وجودها .

ولقد كان بامكان المؤلف أن يتلافى قصور المنهج القديم القائم على المقارنة الخارجية دون التحليل ، في الخانمة المقتضبة التي قارن فيها بين البطل القديم والحديث . ولكنه ـ ولا ادري لماذا ـ لم يفعل. فقد اكتفى بان لاحظان رحلة البطل الحديث ـ التي اصبحت رحلة في الذات لا في العالم الخارجي ـ تستغرق وقتا اقصر ، وان مسز بلوم لا تنتظر في وفاء كما فعلت بنلوب ، وانما تخون زوجها خيانة متصلة ، وان كفاح البطل الحديث من اجل اوليات الحياة لم يعد يتخذ

(١) كنت اود لو التفت المؤلف الى ملحمة جلجامش ففيها تتدخل الالهة لانقاذ البطل ، حين يهيج الاله « شمش » الرياح العاتية ويقلبها على « خمبابا » ـ راجع « ملحمة جلجامش » ـ طه باقر ، سلسلة الثقافة الشعبية .

الرحلة رمزا بل هو يتخبط في مكان محدود .. وهذه ملاحظات لا تلمس الفروق النوعية بين البطلين القديم والحديث الا لمسا سريعا ، بينما يمكن ان تؤدي المقارنة المنهجية الحديثة بينهما الى تأليف كتاب قائم بذاته ، فليس ثمة شك أن البطل الحديث لم يعد ذلك الفرد الذي قد يكون له من الاهمية والاثرما لا تجده في امة بكاملها ، وبالتالي لم تعد الملامح والقدرات الجسمية ذات شأن في البطل الحديث ، فضلا عن انه لم يعد منصورا قاهرا ، وانما اصبح – اذا استثنينا البطل الجماعي في الادب الملتزم سياسيا – انسانا مهزوما مقذوفا الى عبثية العالم بلا سبب ، ويعاني في كل حين ازمات لا يدري – في الغالب – لها معنى ، وان يكن حريصا على درء اللامعنى فيها بمعايشتها ، رغم علمه بلا جدوى هذه المعايشة (٢) . وبالطبع ، فان هذه الكلمة تضيق عن تتبع ملامح البطل الحديث – الذي لم يعد في الواقع بطلا – فهي على جانب خطير من التنوع والتعقيد ، تختلف بين اديب واخر ، وبين مرحلة واخرى في حياة اديب واحد . وما احسب الا ان الاستاذ الشاروني قادر – بما دلت به مقالته الثانية « الغواية والهداية » على امكانيات طيبة في التحليل الفكري الحديث – على ان يتخذ من مقالته بداية لدراسات اوفى واحدث يمكن ان تتكشف عنها افاق جديدة خصبة.

***

« سيكولوجية التعبير الفني » دراسة علمية ناضجة لعملية الابداع الفني من خلال معاناة المؤلف لها . وهي وثيقة شخصية صادقة تضاف الى ما لدينا من وثائق ومذكرات واعمال فنية كتبها الفنانون حول نفس التجربة ، وكشفوا فيها لدارسي الادب عن الاراء التي كونوها من واقع تجاربهم عن عملية الابداع الفني . ولكننا نلاحظ ان خبرات المؤلف الشخصية في عملية الابداع اذا كانت سببا في اكتشافه بعض الملاحظات الشيقة الصائبة كما في التفاته الى ان الانفعال لا يتضخم في تكرار ، بل في تدرجات (ص ١٠٧) ، وان الفنون بوجه عام تعتمد في تعبيرها على النواحي البصرية والسمعية اكثر مما تعتمد على الحواس الاخرى (ص ١١٦) ، وان العمل الادبي هو تأكيد للذات وتعبير عنها في الوقت الذي تؤكد فيه غيرها بانانية لبقة مغرية (ص ١٢٢) ، فان الطابع الشخصي للدراسة رغم امتزاجه بقراءات المؤلف حول الموضوع ، كان المسؤول عما فيها من اراء ارى انها تفتقر الى الشمول ، فلا يمكن – لذا – تطبيقها على تجارب الاخرين في الابداع .

يخالف الاستاذ الشاروني نظرة الرومانسيين ويونج الى التعبير الفني على انه ضرورة دائما ، ويرى انه يستطيع في اية لحظة ان يبدأ تعبيرا فنيا حول اي شيء مما يلاحظه الناس ويمرون به (ص ١١٣ – ١١٤) . والواقع ان لماضي الفنان في مجال التعبير اثرا لا ينكر في صقل انتاجه واختصار المدى الزمني لعملية التعبير ، بحيث يخيل الينا اول وهلة ، او يخيل له ، انه قادر على التعبير عن اي موضوع متى شاء . فكل فنان يتذكر ولا شك انه في مرحلة الصبا من عمره غالبا ما كان يعجز عن التعبير بالرغم من امتلاء وجدانه بانفعالا ت نفسية صادقة ، نظرا لضحالة قراءاته وخبراته في عملية التعبير ، حتى اذا ارغم نفسه على التعبير كان الطرح مشوها بما فيه من صور شاذة مختلة او تقليدية ميتة. ولكن هذه الحقيقة لا ينبغي ان تنسينا ان خبرات الفنان تعجز وحدها عن خلق عمل فني ناضج ، وان الفنان يتجنب عادة هذا النوع من العمل الفني الارادي ، لا لانه يحس انه بمثل هذا العمل يمرن قلمه ويختبر مهارته فحسب كما يرى المؤلف (ص ١١٤) ، ولكن لعلمه ايضا بان هذا العمل الارادي – حتى في حالة استطاعته انجازه – سيكون دون العمل الفني العفوي صدقا وحرارة وتوترا وجدة . ولقد قال هنري فون :

اه ما اسهل ان يكتب الانسان ويتغنى

ولكن المشقة ان تكتب بيتا صادقا لا تكلف فيه

اللهم ازل عني هذه القيود الثقيلة

والمشقة التي يعاني منها هنري فون هي مشقة انتظار التجربة حتى تنضج وتنبثق بعفوية صادقة ، وهي مشقة لذيذة ما دامت تتمخض عن عطاء جديد صادق يرتاح الفنان له ايما ارتياح ، بل ان ارتياحه ليتعاظم كلما كانت مشقة الانتظار طويلة وعسيرة بحكم قانون الفعل ورد الفعل الذي يمائله قوة ويخالفه اتجاها . ولطالما تحدث الفنانون عن الحالات النفسية العسيرة والخصبة التي يكون فيها سلوكهم غريبا ولا اجتماعيا قبل ان تنطلق من اعماقهم صرخة « وجدتها » المبشرة بتحطيم القيود الثقيلة و « الانطلاق والتحرر مما يفصل بين العملي والخيالي » ص١٠٦. وحقا ان الفنان يستطيع – منذ البداية – الا يكون فنانا ، بان يتجنب منذ مطلع حياته القراءة والمعاناة فيصبح الحلم وحلم اليقظة والبوح المباشر وقراءة اعمال الاخرين هي الوسائل التي يعبر بها ويؤكد ذاته شأن اي انسان عادي . ولكنه بعد ان قرأ وعانى وتفجر في ذاته ذلك الينبوع المنهك والملذ في آن ، فان عملية التعبير ستكون عفوية لا يد له في كبتها او اجهاضها قبل ان تكتمل . ولو لم يكن الامر كذلك لما سمعنا هذه الشكوى المؤلمة المتصلة من عجز الفنان عن هجر فنه بعد ان «ابتلي» به ، ولما وجدنا شاعرا كجرير يتلوى على الرمل في خلوة خصبة قبل ان يصيح : قتلته ورب الكعبة ! لانه ظفر بالبيت الذي يقول فيه :

ففض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولو لم يكن ميل الفنان العفوي الى التعبير التلقائي اللا ارادي امرا واقعا يستهين معه بالام ما قبل الخلق لما وجدت شاعرا كابن الفارض نهض ذات مرة ورقص طويلا وتواجد وجدا عظيما وتحدر منه عرق كثير ثم سكن حاله وسجد لله تعالم حتى اذا سأله ولده عن سبب ذلك قال : يا ولدي فتح الله علي بمعنى في بيت لم يفتح علي مثله ! (٣) .

ولا تقتصر هذه الحالة على الفنان بل تشمل كاتب المقالة والنقد والبحث ، بل وحتى اصحاب الحرف الالية كالنجارة والصياغة – على فروق كمية لا نوعية بينهم يحددها مدى الانفعال والموهبة ونوع العمل الفني ومدى توفر وسائل التعبير – فان احدهم لا يطمئن حتى يقع على العمل الفني الفريد الذي يحمل ما في نفسه حملا امينا كاملا بحيث يشعر بعد انجازه بارتياح تام يعوض عن الام مرحلتي الانتظار والخلق ، وهو ارتياح لا يمائله ارتياح اي متقبل لفنه ، فليس من اسس العمل الفني الناضج ان يشعر المتقبل بنفس المتعة التي يحسها الفنان ساعة تأديته عمله الفني كما يرى المؤلف (ص ١٢٢) ، ذلك ان متعة الفنان تتشابه مع متعة المتلقي نوعيا ولكنها تختلف كميا بكونها اعظم ، فالفنان – كما يقول وردزورث – يغتبط اكثر من غيره بجوهر الحياة في نفسه .

ولا يعني ايماننا بان الفن ضروري والتعبير عفوي ، اننا نؤمن بانهما هبة كالنبوة ، ولكنه يعني ان الفن ما دام عند الفنان شرط حياة ومبرر وجود ، لا مجرد عبث لفظي اختياري ، فانه سيكون بالضرورة امرا لازما لا مفر له منه . ولا تناقض بين ان يكون العمل الفني ضرورة وبين كون الموهبة والاكتساب يشتركان معا كما يرى المؤلف (ص ١١٤) فعملية الاكتساب مرحلية قبلية تتراكم فيها الخبرات في ذات الفنان عبر مدى زمني طويل ، وهي – كما تقول اليزابث درو – مرحلة تنظيم صناعي تام الوعي ، بمعنى ان الفنان فيها يقرأ ويناقش وينقد ويكتسب ، ولا شك انه يفيد من هذه المرحلة فائدة عظيمة ، بحيث ان وعيه باهميتها يدفعه الى مخاطبة فتاة ناشئة تريدان تكون قصاصة بقوله دون تردد : اذهبي وكوني عاهرة ! ونسيان هذه الخبرات لا يزيدها الا رسوخا والا لما نصح والبة تلميذه باستظهار شعر العرب ونسيانه ، وليس مستبعدا او غريبا

(٢) لا يعني ظهور الرؤية الحديثة للبطل ان الملامح القديمة للبطل قد اختفت نهائيا ، فهي ماتزال شائعة في النموذج الذي ترسمه العامة للبطل في قصصها الشعبي واقبالها على الافلام السينمائية التي تدور حول بطولاته الخارقة .

(٣) لا تقتصر هذه الحالة بالطبع على الشعر وحده ، فهي تطالعنا في الادب الموضوعي رغم ما يستلزمه هذا الادب من يقظة في رسم الشخصيات وسير الحوادث . راجع : فن القصة ، الدكتور محمد يوسف نجم ، ص ٩٤ – ٩٨ . وعن الشعر راجع الفصل الثالث من كتاب الدكتور مصطفى سويف : الاسس النفسية للابداع الفني .

انه يفيد منها قبيل لحظات كان يناقش مع نفسه الاطار الذي سيصُـغ تجربته فيه ، او الاسلوب الذي سيختاره لعرضها ، ولكنه في اللحظه التي يمسك فيها القلم ليبدأ التعبير يميل تلقائيا الى تناسي خبراتـه المكتسبة نظرا لان أي جهد واع يبذله لتذكرها او الاستادة منها سيوزع قوى الفنان العقلية في اتجاهين متضادين : اتجاه واع ينزع الى الداخل لتذكر الخبرات المكتسبة ، واتجاه لاواع ينزع بالصور الفنية الىالتدفق للخارج ، تماما كما يتناقض تحديق الطفل في المرآة مع عملية البكـــاء ويلفيهـــا .

وعلى هذا ، فالفنان لا يسمح لبعض اللاشعور أن يطفو كما يرى المؤلف (ص ١٠٧) وانما تطفح مكبوتات اللاشعور تلقائيا في افـــراز طبيعي مثل زيت التربنتيا في شجرة التربين كما يقول هويسمان ، بعد أن تكون تجربة الفنان قد اختمرت وتم التفاعل الخصب بين انفعـاله الجديد وتجاربه القديمة الرافدة في قرارة اللاوعي ، وعثر انفعالالفنان على القوالب اللفظية ــ الحديث هنا عن الادب ــ التي سيبرز فيها الى الخارج على هيئة عمل فني .ولقد كان اودن يقول : اذا حضر الي شاب يطمع في أن يكتب ،وقال: لدي امر جليل اود ان اكتب عنه ، فهو ليس بشاعر ، وليس ادلعلى هذا الطابع العفوي لعملية التعبير أن الفنانفي لحظات الخلق ، بالرغم من انه يصبح فعلا أكثر قدرة على ان يستعيـد ذكرياته وان يغزو عالم الحلم (ص ١٠٧) الا انه يجد نفسه في بعض الاحيان ، عاجزا عنالتعبير بالرغم من احساسه بان تجربته قد اكتملـت وانه لا يفتقر الى أدوات التعبير كمايحدثنا بيرون وتوفيق الحكيم وصلاح عبد الصبور وغيرهم . والسبب ــ فيما ارى ــ هو هذا الانتقال(الارادي) من علية التخيل التي يستسلم فيهاالفنان بهدوء لانطلاق افكاره بحرية تامة في ما يشبه حلم اليقظة ، الى عملية التعبير التي تشترك فيهـــا الارادة الواعية بنصيب ، والتي تسبب خلق هذه القوة المضادة التـــي تؤدي الى هروب افكار الفنان وعودتها الى مكامنها ... ولذا ، يتغلب الفنان عادة على هذه الحالة العائقة المزعجة بتخدير عقلهالواعي.وبالطبع، فان تخدير الوعي وحده لا يخلق فنا ، والا لكان مـن يتعاطون المخدرات اقدر الناس على التعبير وابرزهم في عالم الفن ، وقد سخر جـــورج ديهامل في « دفاع عن الادب»من هذا النوع من الفنانين الذين يخيـــل اليهم ان تعاطي المخدرات كفيل بخلق الفن ، ولكنه يمهد للتجـــربة الفنية ــ اذا كانت قد اختمرتفعلا، وكان للفنان ماض طيب في القراءة واستخدام ادوات التعبير ــ ان تطغى على فعالية العقل الواعي طغيانـا لا يلغيها ولكنه يخدرها الى حين الفراغمن التعبير الفني .

واود أن اقف قليلا عند حديث المؤلف عن الانفعال ، فمع ان من الثابت ان « ارادة التعبير تنقل الانفعال من مجرد حيزه اللاشعـوري المكبوت الى الحيز الواعي المنظم » وان الفنان يكون في لحظة الانفعال اكثر انشغالا من ان يحرر انفعاله في تعبير فني ، لكن هذه اللحظـــة الانفعالية هي التي تنشىء الحال الانفعالية التي تمتد زمنا بعد حدوث لحظة الانفعال (ص ١٠٨ ــ ١٠٩) فان هذه الحال الانفعالية ــ اذا كانت هي التي تدفعالفنان الى التعبير ــ فليست هي التي تمد الفنان بالصور والالوان كما يرى المؤلف (ص ١٠٩) ، وانما تمد الفنان بالصور تلك الحصيلة المسبقة من التجارب والخبرات الحياتية والفنية التـــي توقظها لحظة الانفعال على مراحل يحدد خصوبتها وسرعة تعاقبهـــا وتفاعلها مدى عمق انفعال الفنان وضرورة التعبير . وليس شرطـا ان تنبثق الافكار في سلسلة طويلة « تبدأ بما هو صارخ حتى تنتهـــي بالهادىء الذي يغيب في اعماق اللاشعور المجهولة » ص ١٠٨ ، فقـد تبدأ هذه السلسلة هادئة خافتة حتى اذا وجد الفنان نفسه في ذروة عملية الخلق يحيط به جوهاالساحر الفامض تدفقت الافكار عنيفـــة عارمة يوقظ بعضها بعضها في تداع جبري صارخ ينتهي هادئا بعد ان يحس الفنان أن توتره على وشك الانطفاء . ولو قال المؤلف ان سلسلة الافكار تبدأ بما هو عميقلكان اقرب الى الدقة ، فلا شك ان الحلقـات الاولى من سلسلة الافكار اكثر خصوبة من غيرها بمـــا يوقظه تدفقها من حلقات اخرى .

ومع أن معرفة الفنان بالمجال الذي يجيد فيه تحرير مشاعره ذات اثر في تنشيط قواه الوجدانية ، فان ظهور قوالب او مجالات جديدة لا يستتبع بالضرورة ظهور امكانيات جديدة من ثروة لن تنتهي (ص١١١)، فان حاجة الفنان الى قوالب جديدة تحددها قدرة الاعمال السابقة على امتصاص الانفعال ، فاذا لاحظنا ان :الفنان « كثيرا ما يكون في حاجـة الى اكثر من عمل فني والىاكثر من قالب يستوعبه » ص ١١٠ ، وان هذه القوالب العديدة ما هي الا محاولات ــ الواحدة بعد الاخرى ــ من اجل استيعاب الانفعال كله واستكمال جوانبه ، فينبغي ان لا ننسى وعي الفنان بحدود النوع الادبي الذي يمارس فيه افراغ انفعاله ، فانه يسهم في تحديد مدى حاجة الفنان الى اعمال اخرى ... فلقد كـان بامكان الشاعر العربي القديم مثلا ان يضع جماع تجربته في الحياة او في موضوع شعري معين في قصيدة واحدة ، وشعراء الواحدة ، والادباء المقلون ــ وهم كثر في الاداب العالمية ــ اوضح دليل على ما نقول . ذلك ان وعي الشاعر القديم بانالقصيدةيمكن ان تمتد الى اي مدى يشـــاء وتحتمل عدة اغراض شعرية كفيل بامتصاص كل طاقاته الانفعالية حول تجربة معينة ، بينما نلاحظ ان الشاعر المعاصر ــ انطلاقا من وعيه بان القصيدة ينبغي ان تكون وجها منأوجه التجربة العامة وتعبيرا عنجانب من جوانبها ــ في حاجة الى قصائد عديدة تبرز مجتمعة تجربته العامة التي كان بامكان الشاعر القديم ان يضعها في قصيدة واحدة .

ثم ان لممارسة الفنان لنشاطات فنية مختلفة اثرا في مدى حاجتـه اليها للتعبير ، فاذا كانت القصيدة الشعرية هي المجال الوحيد الـــذي استطيع التعبير به ، واذا كان غيري يمارس الى جانب الشعر الرســـم والنحت والموسيقى ، ثم افرغت انفعالي بتجربة معينة في قصيدةواحدة، وافرغ غيري انفعاله بنفس التجربة في قصيدة ولوحة وتمثالومقطوعة موسيقية ، فهذا لا يعني بالضرورة ان انفعاله اضخم او اعمق من انفعالي بحيث انه اضطر الى خلق كلهذ ه الاعمال الفنية لتستوعب انفعاله ، ولكنه يعني ان اجادته التعبير بهذه الاشكال وزعت انفعاله المحدود في قوالب مختلفة ، مما لم يكن بحاجة اليه لو انه لا يجيد ــ مثلي ــ سوى قول الشعر . وربعملادبيواحد يمثل تجربة خصبة عميقة يناظر اعمالا ادبية كثيرة تمثل نفس التجربة . وانما يمكن تفسير لجوء الفنان الـى القصيدة واللوحة والتمثال لافراغ انفعاله بان لكل فن من الفنون طابعا خاصا لا يتوفر لغيره ، بالرغم من التداخل الواضح بين الفنون ، كافادة الشعر من التصوير والقصة والموسيقى ، وافادة القصة من الشعـــر والتصوير والسينما . وهو تداخل قديم نبه اليه سيمونيدس حين قال ان الشعر رسم ناطق والرسم شعر صامت . الا ان الدراسات النقدية اثبتت فيما بعد ان لكل فن ــ رغم هذا التداخل ــ طابعا خاصا وحدودا خاصة تستوعب الانفعال علىنحو لا يتهيأ لفن اخر .. فالفنان المعاصر الذي يجيد كتابة القصيدة والقصة ، قد يكتب عددا من القصائد فـي تجربة معينة ، ولكنه ــ مع هذا ــ يكتب قصة في نفس التجربة ، لا لان القصائد لم تكن قادرةعلىافراغ انفعاله ، ولكن لان في البناء الموضوعي للقصة ما يهيىء للفنان التعبير عن جوانب وتفاصيل لا يتسع لهما الطابع الغنائي للقصيدة القائم على انطلاق المشاعر المكثفة المركزة غير مقيـــدة بابعاد موضوعية محددة مما يمكن تجنبه في الادب الموضوعي من قصـة او مسرحية (٤) .

وفي معرض حديث الاستاذ المؤلف عن الانفعال ورد قوله : «فبمجرد تضخم الحزن او الفرح او الحب او اي انفعال او عاطفة اخرى تـــرى

(٤) وقد نستطيع على ضوء ما سبق ان نفسر ظهور بعض الانـــواع الادبية ، فظهور المقالة النثرية في الربع الاول من هذا القرن في ادبنا مثلا لم يكن لاستيعاب انفعال لم يستوعبه الشعر ، ولكن لان الشعـــر انذاك لم يكن مستعدا لتبني القيم الفكرية والفنية التي تبنتها المقالة. وبعد ان تحول الشعر الى الرومانسية وظهر الادب الموضوعي من قصة ومسرحية لاحظنا اختفاء المقالة . ويمكن تطبيق نفس الفكرة فـــي مجالات اخرى .

مئات التدرجات ... » ص ١٠٨ ، ففي هذا القول تعميم يتناقض مع ايماننا بان موضوع الادب الذي يجودفيه هو – كما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال – قضية « الاستلاب » فالفنان بفطرته يبدع في الفن الذي يكمل شخصيته الاجتماعية وراحته النفسية بطرح التوتر السائد في علاقته بالاخرين او بالعالم ، وهو – لذا – لا يبدع حين يعبر عن عاطفة راضية مطمئنة كالفرح او الرضى ، الا بمقدار ما يكون هذا الفرح رد فعل ونهاية لحزن سابق عميق ، لانه اذا لم يكن الفرح كذلك سيفقد الانفعال الباعث على القول والتوتر الدافع للابداع . ففي لحظة الفرح يكتفي الفنان – شأن أي انسان عادي – بالتحرير الفوري لفرحه الذي تليه مرحلة من الرضى والهدوء تختلف نوعيا عن المرحلة الخصبة التي تلي لحظة حزن او تجربة فقد لصديق او حبيب ، لان لحظة الحزن هذه لن تمحي بعد معاناة المؤلف لها لحظة وقوعها كما يحدث في لحظة الفرح، ولكنها تستمر وتتحرك في ذات الفنان فتنشىء تلك « الحال الانفعالية التي تمتد زمنا بعد حدوث لحظة الانفعال » والتي تنتهي بخلق العمل الفني . وليس محض صدفة – كما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال – ان نجد الشاعر القديم حين كان يصف عاطفة راضية كان يضعها في اطار تحسر على انها مرت وان تعود ،أو في صورة امل متوقع تقصر دونه جهوده .

ولكن ايماننا بان الرضى لايتسبب في ابداع فن صادق جيد لا يعني ان نعود الى نظرية « الالم المبدع العبقري » فنزعم أن بقاء الالام شرط اساسي لبقاء جمال العمل الفني ، وأن من الجدير – كيما يبقى لنا فن جيد ممتاز – أن نبقى علاقات المجتمع على ما هي عليه من الظلم والتناحر والبؤس . ذلك ان حياة الفنان الرغيدة اهم من كل ما يمكن ان يبدعه من فن يخلقه الالم ويبعثه البؤس والحزن ، وهل كنا نعجب بفنه الحزين البائس الا لان في حياتنا من بواعث الحزن والبؤس ما يدفعنا تلقائيا الى الاعجاب بفنه هذا ؟!

« لغة الحوار بين العامية والفصحى .. » اطول دراسات الكتاب واكثرها قيمة وخصوبة لسببين :

الاول : ان لقضية الحوار بين العامية والفصحى اهمية خاصة تكتسب ابعادها من اتصالها المباشر بادبنا المعاصر ، وتشعب الاراء فيها، ولا سيما بعد دخول الاعتبارات اللاادبية فيها .

والثاني : هذا الجهد الضخم المشكور الذي بذله المؤلف لتتبع اراء الادباء والنقاد حولها منذ ظهرت ، والذي دل فيه على صبر على التنقيب وقدرة على تقصي كل ما يمكن تقصيه من مصادر ، ومن ثم عرضها بما يهيىء للنصوص أن تتحدث بنفسها . بحيث ان القارىء ما ان يفرغ من قراءة هذه الدراسة الخصبة ، الا ويحمد للمؤلف حرصه على تقصي اطراف المشكلة بشكل يكاد يكون متكاملا (٥) وعرضها في دراسة لا اشك انها ستكون مرجعا هاما لمن سيؤرخ قضايا ادبنا المعاصر في المستقبل .

واهم ما في دراسة المؤلف – الى جانب هذا الاستقصاء الاكاديمي الذي نفتقده في كثير من الدراسات النقدية المعاصرة – هو التفاته الى ان القضية ليست من السهولة بحيث نستطيع ان نؤيد وجهة نظر ونعارض اخر في كلمات قليلة حماسية او بقرار يخنق وجهات النظر الاخرى (ص ١٢٨ – ١٢٩) ، وتأكيده على ميدان الخلاف الحقيقي بين الاراء ، فهو « ليس خلافنا بين انصار الفصحى وانصار العامية ، ولا هو حتى خلاف بين انصار الحوار الفصيح والحوار العامي ، بل هو – على وجه الدقة – خلاف بين انصار الفصحى في كل ما يكتب حتى ولو كان حوارا ، وبين من يجيزون الحوار العامي في حالات ولا ينتصرون له على وجه الاطلاق » ص ١٢٩ .

ولم يفت الاستاذ الشاروني ان يلاحظ اننا « نجد قصصيين يدلون برأي في لغة الحوار ثم يخالفون ما يرون عندما يكتبون اعمالهم الادبية» كما حدث في موقف الاستاذين عبد الحميد جودة السحار ويحيى حقي، وتعليله هذه الظاهرة بانعكاس حدة المشكلة وتذبذب الاراء بشأنها ،وليس ثمة تناقض من الكاتبين (ص ١٥١) ، ولم يفته ان يلتفت الى الفروق الدقيقة بين الاراء في المجالين النظري والتطبيقي كقوله أن الاستاذ نجيب محفوظ « ليس من انصار الحوار الفصيح كما يقول او كما يقال عنه ، بل هو بتعبير ادق ذو حوار فصيح من ناحيتي المفردات والاعراب ، عامي من ناحيتي تركيب الجملة ودلالات المفردات » ص ١٤٦ ، وان كنت أود أن أشير الى ان هذه الظاهرة لا تطرد في اعمال نجيب محفوظ ، ففي قصة « بداية ونهاية » نسمع حسنين يقول : «اصل شعبنا اعتاد الجوع» فنلاحظ ان الكاتب حقق ما يهدف اليه من انطاق شخصياته الفاظا فصحى لكن دلالتها وتركيبها من حيث التقديم والتأخير أقرب الى العامية ، وبخاصة في تقديم كلمة « اصل » ، ولكننا في موضع اخر من القصة نسمع حسن يقول : « يا لك من ضابط واهم .. ان حياتك انت ايضا غير شريفة فهذه من تلك» فنحس ان عبارة « فهذه من تلك » من لغة المؤلف ، ولا يمكن ان تنطق بها شخصية حسن، واعتراضنا لا يقع على كونها عبارة فصيحة ، وانما على تركيب معاني الكلمات على نحو لا يتهيأ للناطق بها في القصة .

وبالرغم من ان المؤلف لم يتخل لحظة عن المنهج الذي اختاره لدراسته القيمة فظل موقفه موضوعيا قائما على عرض الاراء دون الانتصار لرأي دون اخر ، فقد وددت ان اقول شيئا في حديث المؤلف عن قضية الازدواج اللغوي والفروق بين العامية والفصحى .

يقول الاستاذ الشاروني : « والحالة الانفعالية للمتحدث تختلف بالضرورة عن الحالة الانفعالية بالنسبة لمن يكتب ، فالمتحدث يكون اكثر انفعالا وتغيرا بعكس من ينصرف الى الكتابة ، فانه يكون أكثر هدوءا واستقرارا . فلغة الحياة اليومية تطفو على سطح الوجدان . انها دائما لغة فجائية انفعالية لا يتيسر لها وقت ولا فراغ لاعمال الروية فهي لغة الاشارات البسيطة ، اما لغة الكتابة لغة العقل ، لغة الروابط والعلامات النحوية ، لان لدى كاتبها من الوقت ما ينفقه في الامعان والاعداد » ص ١٥٩ ، وهذا الرأي بعث ملاحظة قدامة بن جعفر التي اثبتها المؤلف فيما بعد (ص ١٩٧) وقال فيها قدامة : « ان الطرف يتكرر فيه – اي في اللحن المكتوب – والروية تجول في اصلاحه وليس كمثل الكلام الملفوظ الذي يجري اكثره على غير روية ولا فكرة » وكان لم يكن الكتاب ولا زالوا يتمنون لو استطاعوا الكتابة بمثل الطلاقة والصواب الذي يتحدثون به ، ويبدو ان هذا الرأي عند معظم الباحثين مسلمة بدهية لا تحتمل النقاش ، فهذا كمال الحاج يردده قائلا : « فالعامية تعبر عن لغة الحس المفككة المفاصل والفصحى تعبر عن لغة العقل المرتبط المفاصل » ص ١٦٢ ، ولا ادري كيف يتفق هذا الرأي مع قول القائلين بان « الاجادة في العامية قد تكون اصعب من الاجادة في الفصحى» ص١٩٢، وقولهم اننا « قد نسمع من الناس في الحياة احاديث اقرب في بنائها ومقصدها من الحوار الفني » ص ١٩٨ .

والمؤلف بالطبع ، ليس مسؤولا عن هذا التضارب ، ولكني اود ان اتساءل عن مقياس التغير والانفعال الذي نسبه للغة الحديث وجرده عن لغة الكتابة . فان درجة الانفعال عند المتحدث او الكاتب تحددها عوامل عديدة اهمها الطبع النفسي ، وحالة الشخص النفسية عند التحدث او

(٥) اقول يكاد ... لان الاحاطة التامة بكل ما قيل في هذه المشكلة الهامة تبدو مستحيلة ، فقد اسهم الكتاب العراقيون مثلا بدراسات قيمة حول المشكلة لا اشك ان المؤلف لو علم بها لاثبتها في دراسته ، ومنها مقالتان في كتاب المرحوم طه الراوي : نظرات في اللغة والنحو، ومقالة : الثقافة العامية في التاريخ لاستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه دراسات في اللغة ومقالة للدكتور صالح جواد الطعمة بعنوان : اللغة العامية واستعمالها في العمل الادبي ومقال العامية والادب للاستاذ فيصل عمران القاضي .

الكتابة ، ومدى قدرته على التحكم في انفعاله ، ومدى قرب الموضوع الذي يتحدث فيه او يتكلم عنه من نفسه أو مبادئه . وليس الفرق بين المتحدث والكاتب ـ من هذا الجانب ـ الا فرقا في اداة التعبير التي لا اثر لها في الحالة الانفعالية ، فالمتحدث قديكون هادئا مستقرا كما قد يكون منفعلا متغيرا تبعا للعوامل التي ذكرتها انفا . وليس من ينصرف الى الكتابة اكثر هدوءا او استقرارا بالضرورة ، وانما عملية الكتابة لا الكاتب هي المتصفة بالهدوء والاستقرار ، فان درجة الانفعال عند المتحدث الغاضب قد تتكرر عنده حين يكتب في نفس الموضوع الذي اغضبه،وكل ما في الامر ان انفعاله في التحدث واضح بين في علو صوته وحركة اعضاء جسمه ، بينما يستترفي لحظات الكتابة ليظهر في ما يكتب ، بحيث اننا اذا قارنا بين حالته لحظة الحديث والانفعال الذي تطفح به كتابته لا نكاد نجد فرقا جوهريا سوى اختلاف الاداة التي عبر فيها الشخص عن انفعاله ، وبحيث اننا نستطيع ان نتخيل حركة اعضائه وعلو نبرته من خلال كتابته . والا فأي هدوء واستقرار فيما يكتب من هجاء مقذع ونقد جارح وخواطر ساخطة غاضبة ، واي تغير وانفعال في احاديث الهمس والنجوى والنصيحة والشكوى الخافتة ؟

ثم ان القول بان العامية هي لغة الحس المفككة المفاصل خطأ محض ، تسبب في شيوعه ما نلحظه في العامية من عفوية وسرعة في الحديث لا نجدهما في الفصحى ، الاداة البطيئة للكتابة المنقحة المثقفة. فاذا افترضنا جدلا أن ازدواجية اللغة هي في ذاتها ـ كما يقول كمال الحاج ـ امتداد لازدواجية الفكر ، وهي العقل تمثله الفصحى، والحس تمثله العامية ، فليست المسالك مغلقة بين العقل والحس . والمثقف العربي أليوم يتحدث الى اهل بيته ومن يتصل بهم في حياته اليومية بعامية يقل فيها التفكك بسبب الرصيد الذي يمتلكه من الثقافةالعقلية، بينما يكتب الانسان الذي لم يصب حظا طيبا من الثقافة بفصحى كسيحة هزيلة ...

على اننا حتى اذا افترضنا ان هذا الفرق قائم بين الفصحى والعامية في صورة مجردة لا نصيب فيها لاثر الثقافة عند المتحدث او الكاتب بهما، فاني اكرر انه فرق وهمي لا وجود له ، فلو اصغى الاستاذ الحاج الى عامي يتحدث في مقهى شعبي لوجد انه يحرص اشد الحرص على ترابط عباراته واحكام تسلسلها في غير ما تفكك او اضطراب . وقد يتجنب هذا التفكك عفويا دونما قصد واع . بل ان من الثابت ان العامة تعتبر الاضطراب في حديث الرجل عيبا يجب تلافيه ، ومنقصة ينبغي تجنبها. فقدرة الشخص على ضبط عباراته وتسلسلها لا يحددها نوع اللغةاعامية هي ام فصحى ، وانما يحددها طول ممارسته الحديث او الكتابة باللغة التي اعتاد التحدث او الكتابة بها ، فقد يجد المثقف الذي اعتاد كتابة المقالات المنظمة صعوبة في التحدث بلغة العامة عن شؤونهم دون ان تضطرب عباراته أو تتفكك ، وقد يجد العامي الذي اعتاد التحدث بالعامية صعوبة في ان يكتب مقالا منظم الافكار رغم أنه يستطيع الحديث بعامية تتوالى فيها العبارات بانتظام وتسلسل . وانما يكمن السبب في طول ممارسة الاول كتابة مقالاته بالفصحى ، والثاني الحديث اليومي بالعامية . واحسب ان الباحثين لو تخلوا عن احتقارهم للعامية وعمدوا الى دراستها دراسة موضوعية بطيئة لتبين لهم بطلان كثير من الاراء الشائعة بشأنها ، ولتكشفت لهم نتائج باهرة واسرار لا تكاد تقل عن اسرار الفصحى قيمة وجمالا .

واود ـ في الختام ـ ان احيي المؤلف الاستاذ يوسف الشاروني آملا ان يواصل دراساته الادبية بمثل هذه الذائقة العلمية ـ الادبية ، التي الف بها هذا الكتاب القيم .

الحلة (العراق)

عبد الجبار عباس

دار الاداب تقدم

الجزء الثاني من رائعة

قوة الأشياء

للكاتبة الوجودية العالمية

سيمون دو بوفوار

وفيه تواصل الكاتبة الفرنسية التي وصفت بانها اكبر اديبة وفيلسوفة في عصرنا الحديث مذكراتها الرائعة التي قرأها القراء العرب في ((مذكرات فتاة عاقلة)) و ((انا وسارتر والحياة)) والجزء الاول ((قوة الاشياء)) . وهي تخصص فصولا برمتها عن احداث الجزائر وانعكاساتها على المثقفين الفرنسيين . ولا سيما موقفها هي مع عدد من كبار الادباء فيفرنسا وعلى رأسهم سارتر من ((حرب الجزائر القذرة)) وتأييدهم لنضال الشعب الجزائري ودفاعهم عن حقوقه ، وما لاقوا بسبب ذلك من اضطهاد في فرنسا وحرمان وتهديد بالقتل والاغتيال .

والى جانب ذلك فصول ممتعة عن رحلاتها وعلاقاتها بالادباء وتطور صلتها بشريك حياتها سارتر ، ويتخلل ذلك تأملات عميقة في الحياة والموت والمصير.

ترجمة عايدة مطرجي ادريس
مراجعة الدكتور سهيل ادريس

صدر حديثا

الثمن : ٦ ليرات لبنانية